

تاريخ وأديان

سويسرا والاستعمار.. العلاقة المُلتبسة

"سويسرا و"العام الإفريقي



سويسرا كدولة نموذجية للديمقراطية: طلاب وطالبات من البلدان النامية يتابعون ما يحدث في تَجْمَع المجتمع المحلي أو ما يسمّى بالألمانية "لانديغماينده" في كانتون أبينزيل - رودس الخارجية. Dodis.ch

أصبح عام 1960 رمزاً لإنهاء الاستعمار في إفريقيا، مع حصول 17 بلداً في القارة السمراء على استقلالها. من جانبها، لم تتردد سويسرا في إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الفتية تحت شعار "التعاون والتنمية". لكن السياسة السويسرية الجديدة كانت تهدف أيضاً إلى تحقيق مصالح اقتصادية، الأمر الذي كان يتعارض مع أهداف برن السياسية المعلنة على الأقل، وهو ما كان واضحاً في جنوب إفريقيا على وجه الخصوص.

يوليو 2020 - 01 11:00

أندريا طونينا

انظر لغات أخرى 4

قبل 60 سنة بالضبط، تسارعت وتيرة التطورات السياسية في إفريقيا. وفي ضوء تطلعات المستعمرات الإفريقية إلى الاستقلال، بدأت الأوساط الدبلوماسية الدولية منذ مطلع شهر يناير، بالتحدث عن "عام إفريقيا" أو "العام الإفريقي". وبحلول شهر ديسمبر من العام نفسه، حصل 17 بلداً، معظمها مستعمرات فرنسية سابقة في غرب إفريقيا على استقلالها.

وثيقة - روح العصر

للمغني غراند كاليه ومجموعته الغنائية الإفريقية التي أداها راديو الكونغو Cha Cha من خلال أغنية الإستقلال البلجيكية، بلغ الكونغوليين خبر استقلال بلادهم لأول مرة.

independance

كان لإنهاء الاستعمار تأثير قوي على المجتمع الدولي. وكما صدح صوت كوامي نكروما، أول رئيس لغانا المستقلة في أكتوبر 1960، أثناء الخطاب الذي ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة "تجتاح موجة القومية الإفريقية كل ما يقف في طريقها وتشكل تحدياً للسلطات الاستعمارية، التي يجب أن تُعَوِّض سنوات الظلم والجرائم المرتكبة ضد قارتنا".

وفي الوقت الذي أثار فيه الموجة المناهضة للاستعمار الكثير من الآمال لمستقبل أفضل لإفريقيا، إلا أنها تسببت أيضاً في بروز التوترات الخفية في القارة السمراء إلى السطح. وهنا تجدر الإشارة بشكل خاص إلى أزمة الكونغو، التي أغرقت المستعمرة البلجيكية السابقة في حالة من الصراع والاضطراب السياسي، وكانت مَحَطَّ تركيز واحدة من أهم المهام في

لكن أحداث عام 1960 أجبرت برن على التحرك. وقد وصف ماكس بيتيبير، وزير الخارجية السويسري حينذاك، الاعتراف الدبلوماسي بالدول الجديدة بـ"المشكلة العاجلة". وكما يقول ساشا زالا، مدير الوثائق الدبلوماسية السويسرية كانت علاقات سويسرا مع المستعمرات الإفريقية حتى ذلك الوقت تُدار من خلال مكاتب البعثات في (دوديس) (Dodis) لندن أو باريس أو بروكسل. لكن برن وجدت نفسها مُرغمة على إنشاء شبكة جديدة من البعثات الدبلوماسية في عام 1960".

وحيثما يكون الطريق إلى الاستقلال بالنسبة للدول الجديدة في إطار قانوني "مُنظم" - أي بموافقة السلطات الاستعمارية، تمضي سويسرا قُدماً في اعترافها الدبلوماسي بهذه الدول.

سباق جديد نحو إفريقيا

بالإضافة إلى الأسباب التقنية الخاصة بالدبلوماسية، كانت استجابة سويسرا تعبيراً عن مصالح سياسية واقتصادية ملموسة أيضاً. ووفقاً لـ إيف شتاينر، أحد العاملين في 'دوديس'، "أتاح استقلال الدول الإفريقية لسويسرا فرصة المشاركة في "السباق الجديد نحو إفريقيا".

وكما كتب الدبلوماسي السويسري إدوين شتوبر، الذي أُرسِلَ إلى إفريقيا في مهمة استطلاعية في مطلع عام 1960: "سوف تُمكننا الاتصالات المباشرة المُنظمة مع هذه البلدان من تكثيف علاقاتنا التجارية والاستثمارية [...] إن وجود الحماية الدبلوماسية يجعل هذه المناطق أكثر جاذبية لاقتصادنا على المستويات التجارية والصناعية والمالية".

معهد الاكاديمية السويسرية للعلوم الإنسانية

في السنوات اللاحقة، دخلت برن في مفاوضات تجارية مع العديد من البلدان الإفريقية، حيث أبرمت في مارس 1962 اتفاقية للتجارة وحماية الاستثمار والتعاون التقني مع تونس، وأصبحت بمثابة النموذج لاتفاقيات مماثلة تم توقيعها في نفس العام مع النيجر، وغينيا، وساحل العاج والسنغال. كما تلت ذلك اتفاقيات مماثلة أخرى في وقت لاحق.

ماضٍ غير استعماري

في علاقاتها مع الدول الفتية، كانت برن تتمتع بميزة مهمة تتمثل بـعدم اعتبار إفريقيا لها دولة استعمارية. وكما قال الدبلوماسي السويسري رايموند بروبست في ختام رحلة إلى غرب إفريقيا. "إن موقف سويسرا الخاص كدولة محايدة". "معروف، وليس لديها أي ماضٍ استعماري أو إمبريالي، ويمكن الوثوق بها".

وكانت الدبلوماسية السويسرية ترى أن الصورة الجيدة التي تتمتع بها سويسرا في القارة الإفريقية يمكن أن تكون واقياً من التأثير الشيوعي، الذي كانت برن تعتبره تهديداً "حقيقياً للغاية". وكما قال وزير الخارجية بيتيبير في مؤتمر للسفراء في عام 1960، فإن فرص النجاح للشيوعيين في إفريقيا "أعلى بكثير من أي مكان آخر". وأضاف: "في اعتقادي، يمكن لسويسرا أن تُساهم بشكل إيجابي، بسبب الثقة التي تتمتع بها مؤسساتها الديمقراطية، ولأنها تغلبت على الصعوبات التي نشأت عن اختلافها".

وقد قَدّمت برن دعماً ملموساً من خلال الإسهام في إيجاد الحلول للنزاعات السياسية في القارة السمراء. وتتعلق القضية الأكثر شهرة بدور الدبلوماسية السويسرية في المفاوضات التي أدت إلى اتفاقية إيفيان بين المقاومين الجزائريين والحكومة الفرنسية في مارس 1962، والتي كانت شرطاً أساسياً لاستقلال الجزائر.

وعلى الرغم من عدم كونها عضواً في الأمم المتحدة، لكن سويسرا وافقت على طلب داغ همرشولد، الأمين العام للأمم المتحدة حينذاك، وقامت في عام 1960 بتقديم المساعدات التقنية والطبية والإدارية، كجزء من بعثة الأمم المتحدة في جمهورية الكونغو الديمقراطية الحالية.

بداية التعاون

من ناحية أخرى، كان اهتمام سويسرا بـإفريقيا أيضاً جزءاً من التزام ناشئ في مجال التعاون الإنمائي الدولي. وكما يقول إيف شتاينر، فإن النهج السويسري "لا يقوم على مصالح مُحددة فحسب، ولكنه يستند إلى مبادئ التضامن أيضاً".

المزيد

رحلة وزير الخارجية بيار أوبير الإفريقية

فبراير 2019 في شهر يناير 1979، زار وزير الخارجية السويسري خلال أسبوعين خمسة بلدان في غرب أفريقيا. هذه الجولة التي دشنت حقبة 05...جديدة في السياسة الخارجية

في عام 1960، تم إنشاء خدمة للتعاون التقني تمثلت مهمتها بتجميع أنشطة المساعدة الإنمائية في مركز واحد هو الإدارة الفدرالية للشؤون السياسية، التي أصبحت فيما بعد وزارة الخارجية السويسرية. وفي العام التالي، وافق البرلمان على زيادة كبيرة في قروض التعاون التقني، وقام بتخصيص مبلغ 60 مليون فرنك سويسري على مدى ثلاث سنوات

في حين ركّز التعاون الإنمائي السويسري في بادئ الأمر على الدول الآسيوية أساساً - لا سيما النيبال والهند - إلا أن توجه سويسرا سرعان ما تحول إلى القارة الإفريقية.

وقد ركّزت برن بشكل خاص على الدول الإفريقية الصغيرة "حيث تكون المساعدة السويسرية أهم نسبياً كما يسهل رؤية آثارها". وتركزت المساعدات مبدئياً على تونس ورواندا، "التي تشبه مرتفعاتها الخضراء وادي 'إيمينتال'"، ثم على الكاميرون وبنين (داهومي سابقاً)، وعلى كينيا ومدغشقر في أعوام السبعينيات.

لكن مشاركة سويسرا القوية في **رواندا**، أحدثت جدلاً واسعاً حول معنى التعاون الإنمائي وحدوده بعد الإبادة الجماعية التي تعرضت لها أقلية التوتسي في عام 1994.

جنوب إفريقيا: الاقتصاد قبل المبادئ

النجاح النسبي الذي حققته سويسرا في معالجة إنهاء الاستعمار في إفريقيا في بداية الستينيات، لم يخلُ من جانب سلبي مثير للجدل، خاصة العلاقات الاقتصادية والمالية الوثيقة مع جنوب إفريقيا، ورَفُض سويسرا الانصياع للعقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة ضد نظام بريتوريا.

وعلى الرغم من إدانة سويسرا لنظام التمييز العنصري منذ عام 1968، إلا أنّ القطاع الخاص واصل تعاملاته التجارية مع بلدٍ كان جزءاً كبيراً من المجتمع الدولي يحظر التعامل معه.

حول ذلك، قال الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية، ديالو تيلي في عام 1971 خلال محادثة مع السفير السويسري في أديس أبابا هاينز لانغنباخ: "إن سويسرا تخيب آمال إفريقيا باستمرار، في الوقت الذي كان يمكن أن تكون فيه بمثابة القدوة". إفريقيا. إن إفريقيا لا تطالب إلا بتطبيق المبادئ الرفيعة المستوى التي جعلت من سويسرا دولة عظيمة على أراضيها.

وأضاف: "يجب أن يقتنع مجتمع الأعمال السويسري بأن مشاركتهم في المناطق التي يسيطر عليها البيض [في إشارة إلى جنوب إفريقيا وما كان يُعرف آنذاك بـ"بروديسيا"] قصيرة النظر وستؤدي يوماً ما إلى الانتقام".